مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته و مراعاة حال السامع

هي احدى مميزات اللغة العربية التي تجعلك تقول المعنى الواحد بعدة طرق و كلمات كثيرة , و قد تكون كل الجمل تدل على نفس المعنى لكن بدرجات متفاوتة فالشمس تشرق , و تبكر , و تغدو , و تضحى , وتهاجر , وتظهر , وتقصر حتى تصل للاصيل .

في حالة انك تسأل عن العلم الذي يقوم بمطابقة الكلام لمقتضى الحال فالاجابة الصحيحة هو علم البلاغة . فعلم البلاغة قد تميز به العرب على مر التاريخ و بان ذلك في اشعارهم و قصائدهم و خطبهم . فقد اختاروا الكلمات المناسبة و الاساليب المتميزة , والمعاني الصائبة , و اختاروا مواقع الالفاظ و ترتيبها على حسب مواطن الكلام و هذا هو علم البلاغة .

تعريف البلاغة : نقسم تعريف البلاغة الى شقين الاول هو الشق اللغوي فالبلاغة في اللغة ( الوصول و الانتهاء ) . يقال بلغ زيدٌ مراده - اذا وصل اليه , و بلغ الركب المدينة - اذا انتهى اليها , و بلغ الشئ منتهاه .

فالبلاغة تعني بلوغ الشيء فهي مشتقة من الفعل بلغ وهو وصول الشيء و الانتهاء منه , فالشخص البليغ يعرف كيف يتكلم , و ينتقي كلماته بتمعن .

اما البلاغة اصطلاحا" فهي مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة الفاظه ( مفردها و مركبها ) .

و الكلام البليغ : هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب احوال المخاطبين و حال الخطاب " و يسمى المقام " هو الامر الحامل للمتكلم على ان يورد عبارته على صورة مخصوصة دون اخرى , و المقتضى \_ و يسمى " الاعتبار المناسب " هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة . مثلا – المدح – حال يدعو لايراد العبارة على صورة الاطناب , و ذكاء المخاطب – حال يدعو لايرادها على صورة الايجاز , فكل من الاطناب و الايجاز " مطابقة للمقتضى " . فليست البلاغة اذا" منحصرة في ايجاد معان جليلة , و لا في اختيار الفاظ واضحة جزيلة . بل هي تتناول مع هذين الامرين امرا" ثالثا " هو ايجاد اساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني و الالفاظ مما يكسبها قوة وجمالا" .

و مقتضى الحال – هو ما يدعو اليه الامر الواقع . اي ما يستلزمه مقام الكلام و احوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص . و لن يطابق الحال الا اذا كان وفق عقول المخاطبين , و اعتبار طبقاتهم في البلاغة , و قوتهم في البيان و المنطق .

فللسوقة كلام لا يصلح غيره في موضعه , و الغرض الذي يبنى له , و لسراة القوم والعلماء فن آخر لا يسد مسده سواه – من اجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات و المقتضيات .

نشأ علم البلاغة على يد العرب القدامى الذين كانت لغتهم العربية اقوى بكثير من الوقت الحاضر , و تأسس هذا العلم على يد عبد القاهر الجرجاني اذ وضع كتاب دلائل الاعجاز و اسرار البلاغة .

تنقسم علوم البلاغة الى ثلاثة اقسام :

1. علم المعاني : وهو العلم الذي تعرف به احوال اللفظ العربي التي تطابق اقتضاء الحال , و يختص بتوصيل المعنى بأكثر الفاظ معبرة عنه , و له الكثير من القواعد لانشاء جملة عربية بلاغية فصيحة و من هذه القواعد : الايجاز : وهو توصيل المعنى المراد فيما قلّ ودلّ , و هذا الاسلوب هو المفضل الاتباع,و هناك ايجاز القصر , و ايجاز الحذف , و هناك الاطناب الذي يعد أحد اساليب علم المعاني لمقتضى الحال و ينقسم الى الابهام , و ذكر الخاص بعد العام , و ذكر العام بعد الخاص , والتكرار .
2. علم البيان : هو أحد علوم البلاغة الذي يختص في توصيل المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك الشيء و يمكن ذلك من خلال استخدام التشبيه , و هو تشبيه المعنى المراد توصيله بشيء مادي أو معنوي يتشارك معه في نفس الصفات , و هناك المجاز وبه يتم استخدام اللفظ في غير معناه لكنه في نفس الوقت يقوم بتوصيل المعنى بصورة صحيحة ,وهناك المجاز العقلي و المجاز اللغوي .
3. علم البديع : هو من أشهر علوم البلاغة يعطي للبلاغة خصائص تميزه عن غيره من علوم اللغة العربية . يتكون من المحسنات البديعية وهي : الطباق , والمقابلة , و التورية , و حسن التعليل , و حسن التقسيم , والمبالغة , و براعة الاستهلال , و هناك الجناس , و السجع , و التوشيح , و الايغال الذي يعني زيادة لفظ آخر الكلام بالرغم من تمام المعنى .

أمثلة لمطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته و مراعاة حال السامع من القرآن الكريم

إنّ علم البلاغة تم استخلاصه في الاصل من القرآن الكريم فهو الذي اعطى كلمات الله عزّ و جلّ المنزلة المميزة عن غيرها من الكلام , وجعلته صعب التكرار , ومن الصعب أن يتم تأليف ما يشبهه . ومن أمثلة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته و مراعاة احوال المخاطبين . أي أمثلة علم البلاغة في القرآن الكريم . إذ ظهرت في أن البلاغة بدأت في فاتحة الكتاب التي إحتوت على براعة الاستهلال و ظلت مستمرة حتى آياته الكريمة . و كيف فسّر المعاني و نقل القصص لمختلف العصور و الامم . ومن أمثلة ذلك ظهور الاطناب في سورة فصلت الآية ( 35) التي تقول : (( و ما يلقاها الا الذين صبروا و ما يلقاها الا ذو حظ عظيم )) التي تصف جزاء الصابرين على شقاء الدنيا و الظلم الذي تعرضوا من بعض البشر .

أما اسلوب التشبيه التابع لعلم البيان فقد ظهر في سورة ( الطور ) الآية ( 24) التي تقول : ( و يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ) . إذ تصف الملائكة التي تطوف حول المؤمنين في جنة الخلد الذين يشبهون اللؤلؤ .

أما اسلوب الطباق الخاص بعلم البديع فقد ظهر في سورة الانعام في الآية ( 13 ) في قوله تعالى : ( وله ما سكن في الليل و النهار و هو السميع العليم ) . التي تجمع بين كلمتين متضادتين هما الليل والنهار .

ان مطابقة الكلام لمقتضى الحال تعني ان يتم اختيار الكلمات و ترتيبها بالطريقة التي يمكن ان يستوعبها المستمع من الخطيب , و لعل هذا هو احد الامور الهامة التي يدور حولها علم البلاغة . و من الامثلة قوله تعالى في سورة النساء الاية ( 63) ( اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم , فاعرض عنهم , و عظهم وقل لهم قولا بليغا )

كان النبي (ص ) يعمل على تعقيد الكلمات , وتعمق المعاني كلما ازداد ايمان الشخص و حسن تدينه عكس ما كان يفعل (ص ) مع الذين دخلوا الدين حديثا" . كما يختلف نوع و اسلوب الكلام عندما نتحدث مع الشخص العالم عكس عامة الناس حتى وان كان يسأل بنفس طريقتهم فالتعمق في علم البلاغة يجعلنا نتعلم الكثير , و يساعدنا ان نستحوذ على انتباه الذين هم حولنا عند التحدث . كما كان يفعل فحول الشعراء اصحاب المعلقات الذين لهم قصائد لم ينظم مثلها قط .